الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 45

منزلة الصبر

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الامين، وعلى اله واصحابه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته واستقام على شرعه، الى يوم الجمع والدين، منزلتنا اليوم من منازل اياك نعبد واياك نستعين تعتبر من اجل المنازل واوضحها، وهي ليست من المنازل الشائكة، وتعتبر من اجل المقامات الايمانية والمنازل التعبدية ذكرا في القرآن والسنة، ومنزلتنا محل حديثنا وردت في القرآن في تسعين موضع، اما امرا واما ثناء على اهل المنزلة واما ايجابا لمحبة الله لهم واما تبشيرهم واما الدعوة الى ان يلحق الناس بهم والى غير ذلك من انواع والوان الثناء عليهم، المنزلة هي منزلة الصبر، منزلة الصبر، والصبر يعتبر من اجل المنازل واوضحها بل الايمان شكر وصبر، فيعتبر الصبر هو نصف الايمان، وكما سوف بعد قليل ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان، فقال الايمان الحديث عند البخاري في الادب المفرد، قال الايمان صبر وسماحة، الايمان صبر وسماحة، ذلك لان المؤمن اما ان يطالب بفعل شيء واما بالامتناع عن شيء، الذي يعين على فعل الامور السماحة، استرسال النفس مع المأمورات طوعا واختيارا، واما الصبر هو الذي يعين النفس على التحمل وعلى الامتناع وعلى الترك.

قال الامام احمد الصبر في القرآن في نحو تسعين موضع، طيب يقول ابن القيم ورد الحديث عن الصبر في القرآن على ستة عشر نوعا، يعني ربنا ما بيتكلم عن الصبر كذا ساكت، كل مرة تجيب صفة للصابرين مثلا امر الله بالصبر امرا مباشرا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وقرن الصبر في كثير من المواضع

بمقامات الايمان الاخرى، ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ واحيانا ينهى عن ضد الصبر، الذي هو عدم الثبات، فيقول في الحرب ولا تولوهم الادبار، عدم صبر، ولا تهنوا لا تحزنوا هو عدم صبر ولا تستعجل لهم، عدم صبر واحيانا يثني القرآن على اهل الصبر ثناء مباشرا، يقول سبحانه ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ في نهاية الاية قال ثناء عليهم ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال عن ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ واحيانا يوجب محبته لهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ واحيانا يوجب معيته، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ واحيانا يخبر ان جزاء منقطع النظير وان جزاءهم عنده ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ واحيانا انه جزاء بغير حساب.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ واحيانا يخبر انهم اهل الاعتبار والاتعاظ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ واحيانا بان الصبر هو اخير لاصحابه، وانه باب خير ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وهكذا، هذه اشياء عن الصبر، واحيانا بالبشرى، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ الصبر مقام عظيم، ودرجة عالية، طيب ابن القيم ذكر هذه الايات ثم بدأ يذكر الاحاديث، الواردة في امر الصبر، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصلاة نور والصبر ضياء والصدقة برهان، هذا الحديث عجيب، الصلاة نور تضيء، والصبر ضياء ايضا يضيء لكن هنالك فرق بين النور وبين الضياء، فرق بين النور وبين الضياء، والفرق بين النور وبين الضياء ان النور ليست معه حرارة، لذلك جعل الله القمر نورا والضياء معه حرارة، ولذلك جعل الشمس شنو؟ ضياء، القمر نورا، الشمس ضياء والقمر نورا، الضياء الضوء يولع، والنور مولع لكن النور ما فيه حرارة، والاضاءة فيها حرارة، الضياء، الصلاة نور زي القمر، والصبر ضياء زي الشمس، وذلك لان الصبر لا يخلو من مرارة، لانه لا يقع الصبر الا عند المكاره، في زول بيكون مبسوط بتقول له اصبر.

زول مبسوط تقول له السلام عليكم اصبر ان الله مع الصابرين، بيتخلق في زاته بيقول لك يا زل يا مولانا ما فيش الصبر بيكون عند وقوع ولذلك كان ضياء يضيء ولكن بحرارة، وسبب الحرارة التي في الصدر ان هنالك مرارات، ومصائب تحتمل ولذلك يأتي الصبر يأتي الصبر معها، طيب قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام قولا جامعا، ما اعطى الله احدا، عطاء خيرا له واوسع من الصبر، كان الله اداك الصبر، الله اداك اي حاجة، قال لك ما اعطى الله ما اعطي احد، عطاء خيرا له واوسع من الصبر، والله يا اخواننا فعلا، يا اخي الصبر ده، كل مقامات ومنازل الايمان وحركة الانسان وكسبه وسعيه متوقفة على صبره، الصبر ده الدين، ومن الخطأ ان

يحصر الصبر في المصائب، ان اقامة الصلاة تحتاج الى صبر ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ الصلاة تحتاج الى الصبر والله الصبر ده مهم، طيب بعد هذه النصوص الذاكرة لايجاد الصبر وفضائله ومناقبه، بدأ ابن القيم يحدث عن تعريف الصبر، ما الصبر؟

الصبر في اللغة الحبس والكف، ويقال قتل صبرا اي ضرب بالسيف مقيدا ومحبوسا لا يستطيع ان يدافع عن نفسه، ولذلك يقال قتل فلان شنو؟ صبرا مش معناها وهو صابر، لكن وهو شنو؟ عاجز، ليس صابرا وانما عاجزا، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ اصبر نفسك يعني شو ؟ قيدها واحبسها عليهم، هذا معنى الصبر، ويصير بذلك الصبر هو حبس اللسان عن الشكوى، وكف النفس عن الجزع، هذا عند المصائب، وهنا قسم ابن القيم الصبر على انواع، ويا اخوان الصبر ينقسم على حسب متعلق الصبر يعني ما يتعلق بها الصبر، اذا كان الصبر متعلق بافعال العباد ينقسم الى كذا، اذا كان الصبر يتعلق بالارادات ينقسم الى كذا، كما سوف نعرف بعد قليل، طيب، وهذا المبحث الذي سوف اذكره يعتبر من اجل وانفع المباحث ليس في منزلة الصبر انما في كتاب مدارج السالكين كله باجزائه الثلاثة، مبحثنا الذي سوف نتحدث عنه الان يعتبر من اجل المباحث في مدارج السالكين، يقول ابن القيم الصبر على ثلاثة انواع، صبر على طاعة الله، وصبر عن المعصية وصبر على امتحان الله، الصبران الاولاني الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله هما من كسب العبد واختياره.

الصبر على امتحان الله فليس من كسب العبد ولا من اختياره، انما هو من فعل من؟ من فعل من؟ من فعل ربه، وليس للعبد الا ان يصبر ولا مفر ولا مناص له الا ان يصبر لانه صبر او لم يصبر قضاء الله نافذ وامر الله عز وجل قاطع، الصبر الاول القسمان الاولان في قسم واحد، الصبر على طاعة الله والصبر عم معصية الله يسميهما ابن القيم الصبر الاختياري، اي باختيار العبد، واما الصبر على مصائب الله وامتحان الله انما هو الصبر الاجباري، انت بس عندك ما عندك الا شنو تصبر اما تصلي ولا ما تصلي؟ هذا باختيارك تصوم؟ هذا باختيارك تؤمن او تكفر هذا باختيارك، ولذلك تفعل المعصية او لا تفعل هذا باختيارك ولو انك فعلت المعصية، تحاسب انت ولا تستطيع تقول حاسبوا فلان او علان، طيب يرى ابن القيم ان الصبر الاختياري اجل الصبر الاجباري، الصبر الاختياري اجل من الصبر شنو؟

من الصبر الاجباري، لكن لكن يعني ابن القيم هو ينقل كلام ابن تيمية، وقد وجدت كلام ابن تيمية في التحفة في الاعمال القلبية لشيخ الاسلام ابن تيمية، وكأن ابن القيم نقله ولكن ابن القيم نقله نقلا مفيدا، فقد تفوق ابن القيم على شيخه ابن تيمية في الاسلوب والصياغة، ولذلك لما قرأت الكلام في التحفة العراقية وقرأته في

المدارك بالرغم من انه واحد، غير ان الكلام في المدارك للنفس اوقع، كلام يعني مريح، كويس؟ طيب ماذا يقول؟ يقول شف قال الصبر الاختياري والصبر الاجباري وقعا ليوسف عليه السلام، قام جاب مثال واختار من بين الانبياء من؟ يوسف، وقال رحمه الله صبر يوسف الاجباري المفارقة بينه وبين ابيه، هذا لم يكن باختياره، انما اجراه الله لانه غالب على امره، وظلم اخوته له، والقاؤهم له في الجب وبيعه رقيقا، ده كله صبر شنو؟ اجباري، ودخوله السجن ظلما، والقاؤه الجب يعني في البئر، وادخل السجن شنو؟

ظلما، كل هذا يعتبر صبر اجبال، لانه ليس من كسبه، قال ابن القيم اما صبره امام امرأة فكان اجل من كل هذا الصبر، صبر يوسف امام الشهوة، عند امرأة العزيز اجل من صبره على فراق ابيه، ومن صبره على القائه في الجب، ومن صبره في بيعه رقيقة ومن صبره على ان يدخل السجن ظلما، ومن صبره على ظلم اخوانه كرها، كل هذا ودخول السجن سنين عددا اجل منه صبره لدقائق امام امرأة العزيز، يا سلام يا اخي، ذلك لان صبره امام امرأة العزيز كان صبرا اختياريا، اما بقية الصبر فكان صبرا اجباريا، وبدأ ابن القيم باسلوب فريد ونقاش موضوعي واشارات تربوية قوية للشباب بدأ العلامة ابن القيم يحدث عن سبب اختياره هذا، ليه بقى كده؟ فقال رحمه الله يوسف عليه السلام لما صبر امام امرأة العزيز كان محاربا لنفسه، وده اجل انواع الحرب، تحارب نفسك وقام بدا يعطيني مبررات ومسوغات، قال اولا داعية الشباب في يوسف اقوى، فالشاب سرعان ما تثور غرائز وسرعان ما تتفجر شهواته، والشاب اقرب الى الاثارة، وداعية الشهوة في نفس الشاب وثورة الشباب في نفسه اقوى.

ولذلك من الثلاثة الذين لا ينظر الله اليهم شيخ زاني، زور بعد ما يكبر يمشي يطرطش ويمشي يقوس البنات ويمشي كوس الحرام ويقوس الزنا، وهو ذاته تلقاه لو قلت له اف كده يقع، شيخ زاني، اعوذ بالله، طيب، داعية الشباب في نفس يوسف اقوى، يوسف ما زال شابا، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يوسف عليه السلام في سن الشباب دعته امرأة العزيز، وهذا اوقع في النفس، ثانيا يوسف عليه السلام كان عزبا، تجد شاب يتفجر حيوية ويفيض نشاطا ويتدفق حماسة وشهوة ولكن له ما يسكنه من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج، ويوسف كان اعزبا، ثالثا يوسف عليه السلام كان غريبا عن مصر، والغريب لا يستحي، يكون قاعد مع الناس وبيعرفوه ويتولد في الحلة والناس عارفينه بيخجل، لكن زول ما عنده علاقته ما بيخجل، والغريب لا يستحي اذا كان على غير دين، لكن يوسف استحى لانه عنده دين، لكن الغريب لا يستحي، ولذلك بطل قول القائلين بلدا ما بلدك، امشي عريان لا تمشي عريان لاحد خليك محترم في شنو؟

ما تقدر تمشي عريان مالك؟ يوسف عليه السلام غريب والغريب يقولون انه لا يستحي ويوسف عليه السلام مملوك والمملوك لا يؤاخذ، حتى في الشرع ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ المملوك لا يؤاخذ، ودي كلها تمت في يوسف، والمرأة التي دعته انما هي ذات منصب وجمال، قال رجل دعته امرأة، الا قاليك ذات مصيب وجمال، لانه خطر جدا، اوقع في النفس، دعته امرأة ذات منصب وجمال، وهي سيدته، وقد غاب سيده الرقيب عليه من البشر، فوق ذلك هي الداعية له، وهذا يحرك الغرائز بصورة صعبة، هي التي دعته، بل لم تدعه مجرد دعوة، انما حرصت على ذلك، دعته وكانت حريصة اشد الحرص، ومع هذا وجود يوسف داخل البيت ليس موضع تشكك ولا محل اثارة، قاعد جوا شنو؟ ولذلك البشر والفضيحة والعار امنها يوسف، وفوق هذا كله يوسف عليه السلام، غلقت له الابواب وهيأت ذلك بقولها ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ﴾ هيت يعني تعال عند العرب هيت بمعنى تعال، ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ فيوسف عليه السلام دخل داخل البيت عادي جدا، وفوق هذا كله؟

ان سيده بعد ان عرف بالامر لم يلمه ولم يلومها، كان ديوثا، كما سوف يظهر فوق هذا كله، ده كله اجتمع في يوسف، هذا كله هو متوعد بالسجن، والصغار، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ هددته بالسجن وبالصغار، وبالرغم من صبر يوسف اختيارا فابى، وجرى واستبق الباب، وامتنع اشد الامتناع، وامرأة العزيز يا سلام، والله اخوانا يوسف ده جدا، الشي دا كله يكمل عليه، وفي ذلك تربية، تربية للشباب، لان بعض الناس ودعوني احدث ببعض الصراحة، بعض الناس يستسهل، يقول مرة واحدة واتوب، انت لا تدري عواقب تقشف العورات، لغير الحلال، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ الا على ازواجهم، هذا يحدث في النفس اثرا بالغا، ويوجب مقت الله وغضبه، وانت لا تتخيل مدى جرم تكشف الاوراد ان تكشف عورة لا تحل لك او ان تكشف عورتك لمن لا تحل يقع في القلب من الالم ومن حتى ولو وقع التوبة لا تأمن ان تنكأ الجراح وان تعود الى سوء خاتمة لا تأمن ابدا ولذلك لا تعدل بالسلامة شيئا السلامة دي قوة حقيقة للاول.

لانه لو عملتها مرة واحدة تاني لا تأمن ممكن تتوب، لكن ربما في اقل المواقف تضعف، اما من احصن نفسه وصانها وحفظها وابقاها، ولا اغلق على الناس باب التوبة ولا اشدد عليهم انما من فعل باب التوبة امامه مفتوح، اما هذا الكلام لمن لم يفعل ذلك ابدا، ان يظل محصنا وحافظا الى ان يكتب الله له زواجا حلالا، طيب، شف يوسف ابن القيم قال اين هذا؟ من صبره في الجب، على ما ليس من كسبه، صبر يوسف امام امرأة دقائق اجل من صبر يوسف على فراق ابيه سنين، لا اله الا الله محمد رسول الله، صبر يوسف، امام

امرأة العزيز لحظات اجل من صبره على ظلم اخوانه وعلى دخوله السجن وعلى القائه في الجب، والله يا اخوانا الصبر ده كبير، كبير، ما صبر يقول فلان ما صبر، ولو صبر يقول لك فلان ده صابر، صابر في شنو؟ ده صابر تقيل، صبري عجيب، وشوف يا اخواننا اجل ما في قصة يوسف وهذا مما لا يلقي الناس عليه اضاءات، يوسف استبق البابا، يوسف جرى الى الباب جري ما مشى، كويس؟

لما غلقت الابواب وقالت هيت لك؟ قال ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾ وارجح اقوال المفسرين انه عن العزيز الذي اواه في بيته فيعتبر له ربا لانه ربى، ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ قال احسن مثواي، والاية تحتمل اي يحدث عن رب العالمين ايضا ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ بعدين هي حددت العقوبات، لانه ما زال عندها امل، الا ان يسجن، او شنو؟ او عذاب اليم، ما قالت تقتله، لانه كان قتله، ما هي لسه بتحبه لكن دائرة تكسر، ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ مدافعا، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ على اختلاف بين اهل التفسير كان صغير يتكلم برضيع، رجل عاقل منه، ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ من قدام فصدقت على انه اعتدى عليها، ﴿وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ كانت ردة فعل الرجل باردة، ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ما في حرارة اصلا.

رجل ديوث، يوسف بعد ده مفروض يكون اطمئن لانه ما في فايدة، بعد الموقف ده راودته، والدورة دي راودته قدام النسوان، يعني شوف المرة دي وقع حب يوسف في نفسها طبعا لا شك ان يوسف كان جميلا، اوتي شطر الجمال كما في الحديث، وانه كان شابا ويتدفق حيوية، بالرغم من ذلك بعد ما عرف انك كنت من الخاطئين انتشر الخبر ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ عرفوا الموضوع ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ الموضوع ده مهين، الموضوع ده فيه تعلق لانه ما ممكن هي السيد تستنكف ان تفعل هذا مع خادمها، الا انها احست منه جمالا منقطع النظير، قد شغفها حبه، النسوان ما رضيانات، ما عارفين يوسف نبي ولا ابوه وامه، لكن المهم موضوع الزول خدام في البيت، كيف يعني تعمل كذا؟ كذا قالوا ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ ومتكا برضو قرأت متكا يعني فاتحة ومتكأ يعني مكانا مريحا ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ يوسف لما رجع من البيت يعني موجود مغلوب على امره، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فقالت امرأة العزيز قدام النسوان.

شف الكلام ده كيف، ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ المفروض يوسف لو كان خايف من الراجل، قال له اعرض عن هذا واستغفري ذنبك، بس وما عمل اي حاجة، يعني الاغراء يكون اكثر، ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ قال له شنو ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ولم يقل مما تدعونني اليه، درب من التغزل والمراودة فكان كل النسوة راودنه، ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ولم يقل مما تدعونني اليه، والله يوسف قوي، والله دي مكانة، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ شفت كيف؟ فالمهم يوسف سبب صبر شديد في الموقف ده، يا اخوانا كله عشان اوريك الموقف ده كان قوي كيف، ولذلك حق لابن القيم ان يقول ان هذا الصبر وان كان للحظات اجل من صبر يوسف على البلاء سنين عددا، يا اخي صبر قوي يا اخي سبحان الله، هذا الصبر الاختياري، والصبر الاضطرار او الاجباري، هو على البلاء، الصبر الاختياري على قسمين صبر على فعل مأمور.

وصبر على ترك محظور، صبر على فعل المأمور، المأمور يحتاج الى صبر، لكن ابن القيم كعادته وقد اخذ هذا من شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمهم الله جميعا، انه قال الصبر على اداء الطاعة اجل من الصبر على ترك المعصية، وده ينشرح، الصبر على فعل الطاعة، تصلي، تفعل الطاعة، دا اجل من صبرك على ترك المعصية، اعطيك مثال شخص لا يصلي ولا يزني اسوأ من الذي يصلي ويزني واضح؟ واضح ولا ما واضح؟ الشخص بيصلي فعل المأمور لكنه ما استطاع ان يترك المحظور، المحظور الزنا وقع في الزنا، وهو يصلي، فعله المأمور اجل من تركه للمحظور، المحظور شنو؟ الزنا، شخص لا يزني، تركه محظور ولا ما تركه، ولا يصلي، هذا اسوأ من الذي يزني ويصلي؟ لان الذي يزني ارتكب المحظور، لكنه فعل شنو؟ فعل المأمور، فالصبر على اداء الطاعة اجل من الصبر على ترك المعصية، من عشرين وجه وقد استقصاها ابن تيمية بعضها في التحفة العراقية واستقصى ابن القيم جلها في مفتاح دار السعادة، يا سلام!

ليه يا اخوانا؟ الكلام ده ليه؟ الصبر على فعل المأمور واداء اجل من الصبر على ترك المحظور ومن ترك المعصية، لماذا؟ الامر الاول ان النهي عن المعصية جاء صيانة لفعل الطاعة، فالمقصود ان يعبد الله وان يطاع الله، ما يعيق عن طاعة الله معاصيه، فنهى عنها تبعا لاوامره، لانها تعيق طاعته وليسهل على العباد ان يطيعوه، امرهم باوامر، ولكن هذه الاوامر يستثقلوها اذا انحرفوا، فنهاهم عما يحرفهم عن عن الاوامر فصار الامر اجل، وهذا يدل على امر مهم، يدل على ان الاصل في الاسلام العملي، الطاعة هي الاصل، وهي المقصودة لذاته اما المعصية ليست مقصودا لذاتها تركها، انما هي مقصودة حتى لا تعيق القلب عن

الطاعة، وبذلك يكون ديننا قائم على العمل والايجاب والايجابية والفاعلية، والاصل في شرعنا الامر والفعل، وهذا يدل على ان شرعنا، وان شرعنا فاعل، وان شرعنا يدعو للعمل، فالاصل العمل، ولذلك ترك العمل اسوأ من فعل المعصية، عرفته؟

وفعل الطاعة اجل من ترك المعصية، والكمل لا شك انهم يفعلون الطاعات ويتركون المحرمات، اصلا لو انك تطيع وتعصي المعاصي تبعدك عن الطاعات، هذا مما لا شك فيه المعاصي تقيد الانسان، ويستحيل ان يعصي عبد ربه ثم يأتي ويصلي بكامل قلبه لله، طيب تحدث ابن القيم عن ثلاثة انواع اخرى من انواع الصبر، بعد ان تحدث عن الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله والصبر على اقدار الله، حدث عن الصبر بالله، والصبر لله والصبر مع الله، والصبر بالله ان تستعين بالله على الصبر، ومن ذلك قول القائلين ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ يعني الله بيصبرك، ومن يتصبر يصبره الله، ان يصبر الله، بالله ان تستعيذ بالله على الصبر، والصبر لله ان تصبر لا لمدح الناس لان يقولوا متجلد، انما ان تصبر لله ارادة له، وان تريد بصبرك وجه الله، والصبر مع الله ان تدور مع احكام الله ومراداته، وان تكون خاضعا وجليلا ومستسلما ومذعنا، اقسام الصبر، اورد ابن القيم عبارة لطيفة جدا واعتبروها من العبارات التربوية التي يحتاجها الانسان وهي قول الجنيد رحمه الله، الجنيد رحمه الله يقول المسير مسير المؤمن.

من الدنيا الى الاخرة سهل وهين، كون الزول يسير من الدنيا للاخرة المؤمن، مسافة كبيرة سنين طويلة، قال هذا هين، وهجران الخلق في جنب الله شديد هجران الخلق في جنب الله، لو فيه شاب قام عمل دقن سوف يأتيه من سهام الانتقاد؟ قال له ان الله جعل زمزم للتعبد لا للتلذذ، داير تتعبد؟ وزمزم لا يستطيع المنافق ان يتضلع منها، ده منافق طوالي، زمزم كويس يا اخواننا قال المسير من الدنيا الى الاخرة سهل وهين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله شديد، يا اخي المجتمع كله يجيب صوتك، بعدين انت عملت كده ليه يقول لك الرسول قال ما بيقتنعوا لان هم ما شافوا قبل كده بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء هذي غريبة جدا يعني تعمل اي حاجة من الدين، لو في واحدة لبست نقاب؟ هذا صعب جدا، والمسير من النفس الى الله اصعب واشد والصبر مع الله اشد من ذلك كله لانك يعني انك تسلم نفسك فتدور مع مراد الله وتؤثر ما اراد الله، ولذلك بدأ ابن القيم بعد ذلك ينقل تعريفات القائلين المتكلمين عن الصبر.

فبعضهم يقول الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الادب، يا سلام! الوقوف مع البلاء بحسن الادب، ده الصبر، فتأدب مع البلاء، لان الذي كتبه والذي امضاه وانفذه والذي جعله عليك ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ فالصبر الوقوف مع البلاء بحسن ادب، وقال بعضهم الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة وبعضهم قال الصابر بعد ان يصبح صابرا مراتبه خمسة صابر ومصطبر ومتصبر وصبور وصباء الناس الصابرين، المصطبر ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ المصطبر الذي امتلأ صبرا، والمتصبر المفتعل بالصبر، يفتعل افتعال، فيوقعه على نفسه يحمد نفسه على ذلك، يعاني ولكنه يلزم نفسه بالصبر، ده المتصدر، اما الصبار فهو كثير الصبر الصبور الصبور كثير الصبر ولكن وصفا وكيفا، يعني صبر ذاته من نوع تاني ما كتير شديد لكن نادر، والله يا اخوانا مرته وشفعه وطفله وكان راح من حلة لحلة واحماله الخاتية ودوابه كلها ذهبت لحظة واحدة ده صبور وصفا وشنو؟ وكيفا ده صبوه، يا اخي ده كله فقدوه، انت بس كده اقول لك حاجة؟

غمضت عينك كذا تخيلت انه فقدت احد تقول يا اخي لا حول ولا قوة الا بالله ترجع البيت ميتين تشوفهم قدام عينك بس لو تصورت وساكت انه يروحوا منك يا اخي ده والله في ناس عندهم صبر النقاط الاخيرة التي اود ان اتكلم عنها ناقش ابن القيم اية عجيبة، ذكر الله فيها الصبر وبعض مشتقاته، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ اصبروا قال ده تفسير مال اليه ابن القيم، اصبروا بنفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على البلوة، من الله، ورابطوا باسراركم على الشوق الى الله، وايضا الصبر مع النفس، والمصابرة مع العدو، ولذلك قدم الصبر على المصادرة، لان الذي لا يصبر على نفسه لا يستطيع ان يصبر على عدوه، الصبر مع النفس والمصابرة مع العدو والمرابطة دوام الاستمرار وسد الثغور والاقامة واعداد العدة والاستمرار على ذلك، وهذا اصعب واشق، والتقوى هي الصبر درب من دروب الصبر، لانها صبر على طاعة الله وصبر عن معاصي الله، بالتقوى، طيب، ذكر ابن القيم مسألة، هل الشكوى تنافي الصبر؟

هل الشكوى تنافي الصبر؟ قال شيخ الاسلام ابن تيمية امر الله بثلاثة اشياء ان تقع على صفة الجمال، ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ وتاني قال شنو؟ ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الصبر الجميل الذي ليس معه شكوى، والصفح الجميل الذي ليس معه عتاب، انت تقول له سامحتك، لكن انت المرة دي كنت عملت كده، وعملت كده، وعملت كده وانا والله قربت اديك بنية لكن بص انت يا اخي ده سطح جميل ده صفح صفحة انتهيت منك خلاص ما انت وعدت كلامك في هذا كله سويت وسويت وسويت بسطح ما جميل يا اخي والهجر الذي ليس معه اذى، انت زول هاجر ما تقول اسمع انا هاجرك، وانت ما بتستاهل، يا

اخي ده هجر جميل انت؟ اهجروا بس وامشي خلاص، واهجرهم هجرا شنو؟ جميلة، طيب، الشكوى الصبر الجميل الذي ليس معه شكوى ولكن ابن القيم كعادته في التفصيل يفرق بين مقامين من مقامات الشكوى، الشكوى الى الله لا تنافي الصبر ابدا قال ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ اما الشكوى الى الخلق تنافي الصبر قطعا، وجد اعرابي رجلا يشكو سوء الحال الى اخيه.

والله ايام الايام ذي امور الاحوال ذكر وسيولة ما في كويس وشنو معارف نافذة والبنزين زاده والغاز شنو ما عارف يا اخي يقعد يحكي كويس والاولاد في المدارس وطردوه شنو معارف فقال له اتشكو من يرحم الى من لا يرحم؟ رب العالمين الى من لا يرحم؟ لا شك ان الشهوة الى الخلق ذلة وتنافي الصبر، ان الله اوحى الى نبي من الانبياء، انزلت بعبدي بلائي، العبد قام ربه نزل بالعبد شنو؟ بلاءه، فدعاني فماطلته الاجابة فشكاني، فقلت عبدي كيف ارحمك من شيء به ارحمك؟ يا سلام يا اخي شوف الاثر ده انزلت بعبدي بلائي فدعاني فماطلته الاجابة فشكاني، فقلت عبدي كيف ارحمك من شيء به ارحمك؟ البلد ذاته مش قاعد فيه رحمة، ولكن هذا لا يمنع ان يدعو الناس ربهم بدفع البلاء، وتحققت عبودية الدعاء بعد نزول البلاء فولد البلاء عبادة، ولذلك جاء في الاثر ان الله عز وجل ينزل بلاء شديدا بعبد صالح، فتقول الملائكة لله شد عليه البلاء، فيقول الله احب ان اسمع صوته، احب ان اسمع صوته علق ابن القيم ليس في المدارج في شفاء العليم في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليم سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء، يقع بلاء فتضج الالسنة وترتفع.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/45/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com